الباب الثانى

حقيقة الثورة

الفصل الأول

ليلة عمرى

□□□

الفصل الثانى

الله وحده

□□□

الفصل الثالث

الخلاف والاستقلال

الفصل الأول
ليلة عمرى

«ليلة عمرى» هذا هو الاسم الذى سماه يوسف صديق فى مذكراته على يوم ثورة ٢٣ يوليو. حقا هى ليلة عمره وليس عمره هو فقط بل عمر كل المصريين. جاءت التعليمات لكتيبة يوسف صديق بالتحرك للقاهرة لتنطلق منها للسودان لتأدية الخدمة هناك وذهبت القوة الإدارية أولا بقيادة يوسف صديق إلى معسكر بالقاهرة فى يوم ١٣يوليو وهنا اتصل به جمال عبدالناصر وأبلغه بأن ساعة الصفر ستكون يوم ٢٦ يوليو وأن دوره سيكون احتياطيا لمساعدة القوى الأساسية. حيث إن القوة التى معه الآن فى القاهرة لم تكن الكتيبة كلها بل هى قوة إدارية أساسا تسبق الكتيبة وتسليحها بسيط وبها ستون جنديا فقط معظمهم من الحرفيين المتدربين وعلى الرغم من ذلك بدأ يوسف صديق بتجهيز رجاله وتدريبهم وبث الروح المعنوية فيهم وفرح أكثر عندما زاره جمال عبد الناصر وعبدالحكيم عامر فى بيته بحلمية الزيتون وأخبراه بتقديم يوم ساعة الصفر إلى يوم ٢٣/٢٢ يوليو بعد أن وردتهم أنباء عن كشف خبرهم ومعرفة الملك بما ينوون

عليه من انقلاب عليه وفى يوم ٢٢ يوليو جاء الضابط «زغلول عبد الرحمن» ليخبر يوسف صديق بأن ساعة الصفر هى الساعة الثانية عشرة منتصف الليل تماما وهنا لنا وقفة فقد كانت ساعة الصفر الساعة الواحدة صباحاً لا الثانية عشرة وهنا يحكى يوسف صديق ويضعنا معه فى حيرة بالغة حيث يقول إنه لا يعرف حتى الآن:

- هل أبلغه زغلول عبد الرحمن بالموعد خطأ؟
- أم أنه هو الذى سمع خطأ؟
- أم هى مشيئة الله؟

وأنا مع الثالثة فقد أراد الله أن يكون هذا الرجل كما سماه التاريخ الصادق هو الرجل الذى أنقذ الثورة فلولا هذا التحرك المبكر لتعرضت الثورة لإجهاض فورى وهو ما أكده خالد محيى الدين فى مذكراته حيث قال:

«مرة أخرى كيف تسرب الخبر»؟

الحقيقة أنه تسرب من مصدرين ليس من مصدر واحد:

أحد الضباط الأحرار وهو الملازم أول حسن محمود صالح ذهب مسرعاً إلى زملائه فى سلاح المدفعية ليبلغهم أنه ذهب فى المساء إلى بيته ليرتدى زيه العسكرى فشكت والدته فى الأمر

وكانت تعلم أنه ليس لديه خدمة فى هذا اليوم وأنه على علاقة بحركة مـــا، فأسرعت بإبلاغ أخيه اللواء جوى متقاعد صالح محمود صالح بشكوكها ليقوم بدوره بالاتصال بحيدر باشا فى الإسكندرية ليبلغه باعتقاده أن بعض الضباط ينوون عمل شيء ما الليلة.

عرف ضباط المدفعية بهذا النبأ الصاعق الساعة السابعة مساء ولم يكن هناك أى مجال لتغيير أى خطط فقد سبق أن تم تقرير عدم الاتصال التليفونى بأى شخص وكان الجميع قد تفرقوا استعداداً لتحريك قواتهم وكل ما فعلوه هو أنهم أعادوا الضابط حسن صالح إلى بيته لعله يطمئن والدته ولعل هذه الطمأنينة تنتقل عبرها إلى أخيه ومنه إلى حيدر باشا. لكن الشك الذى دخل إلى قلب حيدر باشا لم يكن هناك سبيل لانتزاعه خاصة وأن معلومة أخرى من مصدر آخر قد عززت الشك لديه حتى أوشك أن يصبح يقينا..

فالضابط محمود شوقى وهو ابن خالة ثروت عكاشة وكان معنا. حاول أن يكسب فى هذا الوقت الحرج ضابطا آخر وهو اليوزباشى فؤاد كرارة فأبلغه بأن الجيش سيتحرك الليلة وأسرع كرارة ليبلغ الحكمدار أحمد طلعت حكمدار بوليس العاصمة الذى سارع بدوره بإبلاغ القصر.

وهكذا بدأت ماكينتان فى الدوران.. كل منهما تريد أن توقف الأخرى وتشل فعاليتها ومن ثم تسيطر على القوات المسلحة ومن خلالها على مجمل الوطن ومستقبله - «نصر» خطتنا التى كانت محمولة فى قلوب رجال قرروا أن يهبوها حياتهم - الملك ورجاله وكبار ضباطه يتحركون هم أيضا. اللواء حسين فريد استدعى إلى قصر عابدين على الفور وكلف باستدعاء قيادات الجيش وتكليفهم بالتوجه إلى مواقعهم لفرض سيطرتهم عليها ويعقد اجتماعًا لأركان حرب الجيش فى قيادة الأركان بكوبرى القبة وقد وجهت الدعوة إلى قيادات الأسلحة والمناطق لحضور مؤتمر فى العاشرة. ولم يدع اللواء محمد نجيب إلى هذا المؤتمر بما يعزز الاعتقاد بأن السراى كانت تعتقد بأن اللواء محمد نجيب يقف خلف عملية التمرد الجارية لكن الدعوة وجهت إلى أخيه اللواء على نجيب قائد قسم القاهرة وعرف محمد نجيب من أخيه موعد المؤتمر والهدف من انعقاده. كانت عدم دعوة محمد نجيب مفيدة جدا لنا ألم أقل إن توفيق الله كان يحيط بنا بل ويلاحقنا فقد تناسب ذلك مع خطتنا التى ترمى إلى إبقائه فى منزله دون أية شبهه تحيط به إلى أن ننجح ثم نستدعيه لتولى القيادة كما كانت عدم دعوته فرصة لبقائه بالمنزل كى يمتلك

حرية الاتصال والإبلاغ عن المعلومات التى حصل عليها من أخيه على نجيب وبالفعل نجح نجيب فى الاتصال بعبدالحكيم عامر ليبلغه بما حصل عليه من معلومات وكان نجيب صاحب فكرة الإسراع باعتقال القادة المجتمعين بكوبرى القبة أثناء خروجهم لشل سيطرتهم وإفشال أية خطة للتحرك العكسى.

كان الوقت متأخرا لتغيير أية خطط وكان إيقاف التحرك غير وارد على الإطلاق مهما كانت الأخطار بل إن إيقاف التحرك سيجلب أخطاراً مؤكدة بمحاكمتنا جميعا أما استمرار التحرك فهو الفرصة الوحيدة لتحقيق الانتصار.

ولكن كيف يمكن اللحاق بهؤلاء القادة العسكريين الذين اجتمعوا فى العاشرة مساء بكوبرى القبة والذين لابد أنهم سيتلقون تعليمات عاجلة بالإسراع إلى معسكراتهم للسيطرة عليها قبل تحرك رجالنا؟».

هنا الاجابة عن تساؤل خالد محيى الدين هى.. «يوسف صديق» فقد كان هو الحل الوحيد لهذه الأزمة التى وقعوا جميعا فيها وقتها. وأيضا أرَّخ هذا الإنقاذ الإلهى للثورة الحوار الصحفى الذى أجرته صحفية الصنداى تايمز مع عبد الناصر حيث قال فيه :

«في نحو العاشرة من مساء ٢٢ يوليو جاء إلى بيتى ضابط من ضباط المخابرات وعضو فى جماعتنا وإن كنا لم نخطره بما اعتزمنا القيام به لتحذيرى بأن القصر قد تسرب إليه استعداد الضباط الأحرار للتحرك وأنه قد اتصل برئيس أركان حرب الجيش الذى دعى إلى عقد اجتماع عاجل فى الساعة الحادية عشرة لاتخاذ الإجراءات ضدنا «شملت العناية الإلهية الحركة كي تستكمل الثورة وهاهي ذى كتيبة يوسف صديق الصغيرة تتحرك وبمجرد خروجها من المعسكر تجد اللواء «عبد الرحمن مكى» قائد الفرقة المعسكرة بالهايكستب - والذى هم جميعا تحت قيادته - على الأبواب ولو دخل قبل خروجها من المعسكر لكان له الكلمة الأولى فقام يوسف صديق فورا باعتقاله وحبسه فى عربته واستجاب اللواء بهدوء للاعتقال وطلب التأمين على حياته وقد أمنه يوسف صديق واحتبسه دون أذى فى سيارته وانطلقت الكتيبة بقيادة البطل تشق طريقها بالحلم المصرى نحو الحرية والديمقراطية التى كان يأملها يوسف صديق وأثناء سير الكتيبة قابله الأميرالاى عبدالرءوف عابدين وقام يوسف صديق باعتقاله داخل السيارة أيضا ثم انطلق الموكب بقيادة البطل وبعد فترة من المسير راود الشك قلب البطل فلم يجد على الطريق أى لجان أو كمائن

أو قوى عسكرية بقيادة أحد الضباط الأحرار أصدقائه مما يدل على ما اتفق عليه ويطمئنه ولم يكن يعلم وقتها أنه بكْر بالموعد ساعة كاملة ولكنه قرر فى نفسه أن يحقق الحلم أو أن يهلك دونه حتى ولو بمفرده واتجه نحو مقر القيادة العامة للجيش يشق أسراب الشك والخوف وعند اقترابه من المقر فوجئ بتوقف الكتيبة فنزل من عربته ناحية شجار نشأ بين رجاله وبين اثنين بالملابس المدنية وعندما اقترب منهما فإذا بهما جمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر فأفرج عنهما من يد رجاله وذهبوا معا إلى مقر القيادة.. وهنا لنا وقفة مع الملابس المدنية فقد ذكر محمد نجيب فى مذكراته ما هو نصه «وللتاريخ أذكر أن يوسف صديق كان أشجع الرجال فى تلك الليلة وكان هو الذى نفذ عملية الاقتحام والسيطرة على مقر القيادة برغم أن دوره كان حسب الخطة حماية قوات الهجوم والوقوف كصف ثانٍ وراءها وللتاريخ أيضا أذكر أن جمال عبد الناصر وعبدالحكيم عامر لم يقتربا من القيادة إلا بعد الاستيلاء عليها. كانا يقفان فى مكان جانبى قريب أمام سيارة عبدالناصر الأوستن السوداء وقد ارتديا الملابس المدنية ووضعا ملابسهما العسكرية وطبنجتين داخل السيارة وبمجرد أن أحسا بنجاح الاقتحام ارتديا الملابس العسكرية ودخلا القيادة، أما أنور

السادات فكان أكثر منهم ذكاء إذ دخل ليلتها السينما وتشاجر مشاجرة مفتعلة وحرر محضراً بالواقعة حتى إذا ما فشلت الحركة نجح فى الخروج منها كالشعرة من العجين». وهذا ما ورد بعد ذلك فى مذكرات يوسف صديق أنه بعد الاقتحام استأذنه الضابط فى دخول اثنين من الضباط بالملابس العسكرية وهما عبدالناصر وعبد الحكيم عامر بعد تغيير ملابسهما وقد ذكر يوسف صديق موضوع الملابس المدنية هذا فى أبيات قصيدته «فرعون» على النحو التالى:

ولما وقعت وعبد الحكيم ... بأسر رجالى وما يعلمون

فأنقذت روحيكما من هلاك ... ورحت بروحى ألاقى المنون

وقد كنت يوم الوغى هاربا ... تخاف الظنون وتخشى العيون

وقد كنت مختفيا فى ثياب ... تباعد عنك مثار الظنون

ولكن للأمانة التاريخية دافع خالد محيى الدين عن موضوع الملابس المدنية لعبدالناصر وعبدالحكيم عامر أنهما لم يكن لديهما قوات ليتحركا بها ورغبة منهما فى التحرك بحرية وضمان الاتصال بسهولة بأية قوات ويضيف أنه لم يكن هناك أى مجال للتخلص من المسئولية فى حال الفشل وخصوصا لشخص جمال

عبد الناصر وهنا أنا أتركها لله فلا يعلم النوايا إلا الله..

وبعد أن مرت هذه الحادثة وفك يوسف صديق أسر عبدالناصر وعامر من يد رجاله، اتجهت القوة إلى مقر القيادة العامة وهنا وضع يوسف صديق الخطة كالتالى كما ذكرها فى أوراقه فقد قسّم القوة إلى ثلاث فصائل:

الفصيلة(١): تبقى فى عربة اللورى ولا تترجل وتسرع باللورى بالالتفاف من خلف القيادة لتصل إلى مكانها لتغلق الطريق عند باب السوارى لمنع تدخل أى قوات والقبض على أى ضابط من غير الضباط الأحرار وإرساله إلى المعتقل.

الفصيلة (٣): تبقى فى مكانها لقفل الطريق أمام الكوبرى عند نقطة التجمع لمنع أى قوات آتية من ناحية مصر الجديدة أو كوبرى القبة والقبض على أى رتبة من غير الأحرار وإرسالها للمعتقل.

الفصيلة(٢): وهى الفصيلة المنوطة بالاقتحام وكانت تحت قيادة البطل يوسف صديق ولم تدم المعركة إلا ثلاث دقائق على الأكثر كما قدرها هو؛ فبمجرد انتهاء الذخيرة من أسلحة الحرس قاموا بتسليم أنفسهم ليوسف صديق كما توقع ولم يعترضه حين صعوده للدور العلوى إلا جاويش واحد فقط شجاع وأمين - كما

وصفه يوسف صديق - منعه من الصعود وتصدى له فما كان ليوسف صديق إلا أن يصيبه في قدمه كي يفسحٍ الطريق لتكملة عمله ولكنه علم بعد ذلك بوفاته وحزن عليه جداً..

وسؤالي هنا هل كانت تستحق هذه الثورة زهق هذه النفس البشرية أم أنها لا ترقى أصلا لتكون ثورة؟!

حقيقةً لا أعلم وأترك الإجابة لكل واحد منا ليبحث داخل نفسه..

وفي الدور الثاني من القيادة كان هناك اجتماع من الضباط في مقر القيادة وخشي يوسف صديق من المقاومة وإزهاق أرواح أخرى وأيضا قوته قليلة فهي لا تتجاوز عشرة جنود بعد توزيع المهام وتقسيم الفصائل وبدأ القلق يراوده لثوان ولكن ما لبث أن ثبته الله بالضابط «حسن الدسوقي» على رأس قوة قد أرسلها «زكريا محيي الدين» بـ٢٠جنديًا لمساعدة البطل يوسف صديق وبمجرد اقتحام الدور الثاني وجدوا أربعة مناديل بيضاء توحي بالاستسلام وكانوا من القيادات فتم اعتقالهم بكل احترام بل إن يوسف صديق زاد مع أحدهم وكان مدرساً له في الكلية وحيَّاه وودعه بنفسه.

وأثناء اقتحام مقر القيادة العامة كانت الفصيلتان ١و٣ قد اعتقلتا الكثير من قوات الشرطة والجيش الذين تحركوا لإنقاذ المقر وإفشال الثورة. وهنا كما يقول يوسف صديق فلقد أمطرت السماء

جنودا فمعظم الجنود الذين تم القبض عليهم تحولوا إلى قوات يوسف صديق حيث ناداه أحدهم وأخبره أنه يريد أن يشارك فى هذا العمل العظيم فحرره هو ورفاقه ووزع عليهم مهام الدفاع مع زملائهم وقد جاء إليه ضابط آخر ومعه قوة من الجنود وأخبره أنه مكلف أن يأتى إلى المقر وستأتيه التعليمات هناك فأخذه هو وجنوده ووظفهم أيضا فى خدمة الثورة وهنا أحس أنه يمتلك الآن قوة يستطيع أن يفعل بها شيئًا وبعد نجاح الاقتحام احتاج البطل لقسط من الراحة على درج المقر بجوار «حسن الدسوقى» وبعد صمت قطعه يوسف صديق بسؤال لحسن «لماذا تأخر الضباط الأحرار فى التحرك؟ فأجابه حسن بأنه هو الذى تقدم ساعة كاملة وأن موعد ساعة الصفر الواحدة صباحا من يوم ٢٣ يوليو وكانت هذه هى المفاجأة الكبرى ليوسف صديق فكانت هى أول مرة يعرف الموعد الحقيقى لساعة الصفر وهنا عنون يوسف صديق بعض الكلمات فى مذكراته بعنوان «الله وحده» أتركها لكم لتستمتعوا بها دون تدخل.

□□□

الفصل الثانى

الله وحده

أذهلنى الخبر الذى سمعته من (حسن أحمد دسوقى) بتحركى قبل الموعد المرسوم بساعة كاملة وجعلنى أستغرق فى صمت طويل أستعيد فيه تلك الليلة العجيبة. لقد تحركت قبل الموعد بساعة كاملة ومع ذلك فإننى كنت أدفع الخطر من على الأبواب، فلقد دفعت خطر دخول قائد الفرقة إلى المعسكر حيث كان له وحده الأمر والنهى والتصرف على قيد أمتار من بوابة المعسكر ثم كان لقاء الفصيلة (١) مع رجال الشرطة العسكرية فى النقطة (ب) كذلك على قيد خطوات من مدخل القيادة العامة ومعنى وصولهم قبلنا وتعزيز قوة حرس القيادة كان لاشك سيزيد من صعوبة موقفنا ويؤثر فى سرعة احتلالنا (للقيادة العامة) والذى لاشك فيه أن الخطة التى كانت قد رسمت فى رأسى لتحرك الفصيلة (١) باللورى لتجنب الاشتباك مع حرس القيادة كانت ستعطى فرصة لرجال الحرس من تأدية مهمتهم التى كانوا قد أرسلوا لتأديتها وأن تغيير ذلك بالتحرك (بالخطوة السريعة) من يسار

الطريق هو الذى هيأ للفصيلة الحيلولة دون ذلك ولو أنه أفسد على الاستمتاع بحنكتى فى وضع الخطط. وهكذا رأيت أن الله سبحانه وتعالى قد تولى تصحيح تدبير الضباط الأحرار وتدبيرى وكان تدبيره وحده هو الذى يتم وأننا لم نكن سوى أدوات تتحرك لتنفيذ هذا التدبير. تدبير مدبر الأمر العزيز الحكيم.

والأمر كله إذا تدبرناه مليا فإننا لن نختلف على أن كل نجاح صادفناه فى تلك الليلة إنما جاء نتيجة (خطأ) وقعنا فيه فى تدبيرنا فخروج ساعة قبل الموعد كان (خطأ) لا شك فى ذلك فإن الخطة العسكرية توضع متماسكة متكاملة فتحرك قوة قبل موعدها بساعة كاملة قد يربك العمل ويعرضه لأخطاء جسيمة مثله فى ذلك مثل التأخير وربما كان فرق دقائق قليلة مؤثرا فما بالك بساعة كاملة ٦٠دقيقة ! ، وكان الخطأ الثانى وهو نزول الجنود بحماس من اللورى عند نقطة إصدار الأوامر بما فيهم الفصيلة (١) التى كنت قد دبرت وصولها باللورى من خلف مبنى القيادة لتجنب الاشتباك مع حرس القيادة هذا النزول بدون أوامر كان خطأ لأن كل شىء فى الجندية بالأوامر ولما كانت طبيعة الأمر تقول بأن (الخطأ) يوصل إلى (الفشل) غير أن حوادث الليلة بينت بوضوح أن الخطأ لم يوصلنا إلى النجاح

فحسب، بل إنه كان (الحل الوحيد) الذى بنى عليه النجاح وهكذا كان الله وحده هو الذى دبر وقدر فى هذه الليلة التى لا أغالى حين أسميها (ليلة عمرى) وكيف لا تكون ليلة عمرى ليلة قضيتها مع الله وكنت فى طاعته ورضاه؟ وأفقت من جولتى فى أحداث تلك الليلة على أزيز محركات الدبابات التى كانت تعنى تحرك القوات الأخرى ولم أسمع فى حياتى صوتا أجمل وأحلى من صوت أزيز المحركات العالية مع ما فيه من نشاز مزعج وقمت ومعى الأخ (حسن أحمد الدسوقى) لنجلس فى مكتب القيادة ولم تمض دقائق حتى جاء حارس من رجال الشرطة العسكرية ليخبرنى بوجود ضابطين على الباب يريدانى وأن أحدهما هو (البكباشى جمال عبد الناصر) وأذنت لهما بالدخول وكانا فى هذه المرة يرتديان الملابس العسكرية وهكذا انتهت الليلة المجيدة الخالدة (ليلة عمرى).

ونجحت الثورة

بعد اقتحام مقر القيادة العامة للجيش والسيطرة عليه تحرك محمد نجيب إلى الأسكندرية ليحاصر الملك فى قصره ويجبره على التنحى وبعد مفاوضات ونقاشات تم إجبار الملك فاروق

بالتوقيع على وثيقة التنازل عن عرش مصر التى أعدها عبدالرازق السنهورى وتم إقناعه بالسفر خارج البلاد ووافق حقنا لدماء الشعب المصرى - كما ذكر هو - ولم يكن نجيب أبخل منه بل وافق على طلباته حيث حيّاه بـ ٢١ طلقة مدفعية وتم عزف السلام الوطنى ودار نجيب بقاربه حول باخرة الملك وأدى له التحية العسكرية بل ذهب وسلم عليه يدا بيد وودعه وهكذا أخرج نجيب ورفاقه الملك بشكل مشرف من مصر وهذا ما تمناه نجيب وشرفاء الضباط الأحرار بعد ذلك حين أراد الأشرار التخلص منهم ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه فلم يلقوا المعاملة الكريمة بعد استقالتهم من مجلس قيادة الثورة بل اعتقلوا وأُهينوا هم وأهلهم ومنهم من نفى ومنهم من اغتيل.

ومن الطرائف التى يحكيها يوسف صديق بعد الثورة مع زغلول عبدالرحمن الذى أبلغه بالميعاد أنه كلما قابله وسأله عن سبب الخطأ فى موعد ساعة الصفر يبتسم زغلول ولا يجيب..

المهم نجحت الثورة أو الانقلاب الذى رضى به الشعب وتشكل مجلس قيادة الثورة من ١٤ شخصية هم: جمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر وأنور السادات وصلاح سالم وجمال سالم وخالد محيى الدين وعبد اللطيف بغدادى وكمال الدين

حسين وحسن إبراهيم ويوسف صديق وعبدالمنعم أمين وزكريا محيى الدين وحسين الشافعى ورأس محمد نجيب المجلس ثم بعد ذلك رئاسة الجمهورية وكان البطل يوسف صديق من أحد رجال هذا المجلس الأنقياء الذين دائما ما انحازوا إلى معسكر الحق أينما وجد ولكن معسكر الشر كان أقوى وأشد.

❑❑❑

الفصل الثالث
الخلاف والاستقالة

بدأ معسكر الشر فى التحرك بكل قوة وسرعة ضد من عارضهم وقاموا بعدها باعتقال كل من عارضهم وتشريد كل من خرج في مظاهرات ضدهم بل وقد تصل إلى الإعدام مثل عمال كفر الدوار خميس والبقرى. وقام المجلس باستقطاب رجال الدستور لتفصيل وتبرير القوانين والقرارات حسب إرادة المجلس فقد ألغى المجلس دستور ١٩٢٣ وحل الأحزاب ووضع قانون الأحزاب المكبل للأحزاب والإعلان عن فترة انتقالية يقود فيها المجلس البلاد لحين تأسيس حياة ديمقراطية جديدة ووزع المجلس رجاله للإشراف على الوزارات ونال كل واحد منهم وزارة أو اثنتين وقام بشن حملة اعتقالات موسعة فى يناير ١٩٥٣م لكل القيادات المناهضه له شملت ١٤ شخصا من قيادات الأحزاب والعديد من الحركات الأخرى وقام المجلس بتهميش الضباط الأحرار الموجودين خارج المجلس على الرغم من إخلاصهم ومشاركتهم فى كل أعمال الحركة منذ نشأتها حتى قيام الثورة بل وصل الأمر

إلى اعتقال الضباط المعارضين كضباط المدفعية الذين اعترضوا على تصرفات المجلس وتم اعتقالهم وإيداعهم السجون.

وهنا لم يستطع يوسف صديق تغيير هذه القرارات فقد كان القرار بالأغلبية داخل المجلس وكان دائماً الحق أقلية بداخله فلم يستطع التحمل وقدم استقالته فى يناير ١٩٥٣م لتصبح أول استقالة قارئة للمستقبل متحدية للظلم والاستبداد منادية بالديمقراطية والمدنية وصمم يوسف صديق على الاستقالة على الرغم من تدخل الكثيرين لمنعه من تقديم الاستقالة لكنه أصرّ وأعلن موقفه واضحًا وصريحًا للجميع ليبن تمسكه بالديمقراطية وليخلى مسؤليته أمام الله والتاريخ من هذا الغدر الذى يحاك لهذا الوطن البرىء والذى عشنا مرارته طوال هذه السنين التى حكمنا فيها العسكر. فقد كان يوسف صديق يرى من الوهلة الأولى أن دورهم سينتهى عقب الانقلاب وأنهم سيسلمون البلاد مباشرة لقوى مدنية تقوم بتحمل المسئولية بعد أن يقوموا بالرجوع لثكناتهم وهو ما أكد عليه فى خطابه لمحمد نجيب بعد الاستقالة يحثه فيه على تكوين حكومة ائتلافية من كل الأطياف السياسية بمن فيهم الإخوان والشيوعون ودعوة البرلمان المنحل لتولى حقوقه الشرعية وهنا نستطيع أن نتعرض لأسباب الاستقالة كالتالى:

الخلاف حول الديمقراطية

١- السبب الأول لاستقالة يوسف صديق يتمثل فى نكران مجلس قيادة الثورة لمبادئ الضباط الأحرار التى وضعوها والتى لم يقرأها البعض منهم كما ذكرنا وخصوصاً المبادئ المتعلقة بالديمقراطية، وهو ما وضّحه موقف يوسف صديق فى الخلاف القائم على عودة عمل البرلمان المنحل بعد طرد الملك، حيث إنه بعد طرد الملك وتكوين مجلس قيادة الثورة كان على المجلس تحديد نظام الحكم للبلاد فاقترح البعض رجوع البرلمان المنحل للعمل وتوليه مهام الدولة وكان من أشد المؤيدين لهذا الرأى البطل يوسف صديق وذلك خوفاً منه على مصلحة البلاد وحرصاً منه على سرعة رجوع الجيش إلى ثكناته دون التوغل فى الحياة السياسية وسرعة البدء فى حياة ديمقراطية ولكن للأسف كان على الجانب الآخر معسكر الشر الذى دبّر وخطط ورفض هذا الاقتراح بحجة عدم الدستورية واعتبر هذا المقترح غير دستورى ورفض عودة البرلمان والحكومة. وبالفعل استقر الرأى على عدم دعوة البرلمان المنحل للرجوع للتمهيد لأولى خطوات الديكتاتورية عن طريق السيطرة على السلطة التشريعية ثم اتباعها بالسلطة القضائية (كما سيأتى)

والتأسيس والتأصيل للاستبداد والظلم، وكان هذا الخلاف هو أول نقطة خلاف بين يوسف صديق ومجلس قيادة الثورة فى التصدى لمخططاتهم ونواياهم السيئة.

الخلاف حول الدستور وتفصيل القوانين

٢- الخلاف الثانى الذى نشأ بين يوسف والمجلس كان بسبب تعطيل الدستور أو سقوط الدستور بحجة أنه غير صالح ومملوء بالثغرات ولا يليق بمصر ما بعد الثورة. وقد كانت هذه الحالة كما قالها السابقون كلمة حق أريد بها باطل فهو حقاً دستور كان به عيوب كأى دستور وضعى ولكن كان من الممكن تعديله أو الاستمرار عليه حتى عمل دستور آخر بعد انتخاب برلمان أو جمعية تأسيسية لكن ها هوذا الباطل المراد يظهر ليحكم مجلس قيادة الثورة بلا دستور وقد واجه يوسف صديق هذا التوجه وعارضه بشدة ولكن لا حياة لمن تنادى..

٣- استمر ترزية القوانين ومستشارى الثورة فى تفصيل القوانين على مقاس الديكتاتور فكانت التفصيلة التالية هى قانون تنظيم الأحزاب وإن شئت فقل قانون تصفية الأحزاب والتمهيد لحكم فردى استبدادى بلا أحزاب. هنا انضم خالد محيى الدين إلى صديقه يوسف ليعترضا بشدة على هذا الاغتصاب المنهج ولكن دائماً ما كان معسكر الشر أقوى وأشد.

الخلاف حول الحرية

٤- جاء وقت الصدام ففى أغسطس ١٩٥٢م قام عمال الغزل والنسيج بكفر الدوار بعمل مظاهرات واسعة احتجاجا على وضعهم المزرى مطالبين بحقوقهم فى الحياة المصونة والعمل الكريم والحقوق العمالية المتعارف عليها مما أثار بلبلة فى البلاد لكن الجلاد كان أقوى وأظلم. فقد أقام مجلس القيادة محاكمة عسكرية لرموز العمال الذين نظموا هذه المظاهرات ووزعت الأحكام عليهم سريعاً وكان من نصيب العامل مصطفى خميس والعامل محمد البقرى حكم الإعدام ولكى ينفذ هذا الحكم عليهما كان لابد من موافقة جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة لكن كان هناك رفض من بعض الأعضاء منهم من انقلب سريعا وغير رأيه ووافق إرضاءً لمعسكر الظلم ومنهم من أصر على الرفض ودافع وكان البطل يوسف صديق على رأس المعارضين الرافضين لحكم الإعدام ولكن على الرغم من ذلك فقد تم تنفيذ حكم الإعدام فى العاملين خميس والبقرى ليزداد الخلاف ويتسع الشرخ.

٥- أكمل المجلس المسير نحو الديكتاتورية فاعتقل المعارضين للمجلس وبدأ يراقب ويهدد السياسيين الأحرار كما قام بغلق بعض الصحف واعتقال مواطنين بدون محاكمات ليذبح قط الحرية مبكراً وبالطبع هذا لم يرض يوسف صديق.

٦- بعد كل هذه التصرفات الديكتاتورية ثار فريق من الضباط المخلصين من سلاح المدفعية على هذه التصرفات وبدأوا يعرضون وجهات نظرهم وآرائهم المناهضة للمجلس بل ووصل الأمر بهم أن اقترحوا أن يكون أعضاء مجلس قيادة الثورة بالانتخاب ليمتلك الشرعية وهذا الرأى قد وافق هوى يوسف صديق فوقف بجانبه وكان مع كل مطالب ضباط المدفعية الأحرار الذين لم يطلبوا إلا الديمقراطية والحق والمساواة ولكن للأسف حدثت طامة كبرى فقد تحرك مجلس قيادة الثورة بشكل بشع ضارباً بآمالهم عرض الحائط ليفعل فعلة شنيعة فى تاريخ الجيش المصرى. فقد اعتقل الضباط برتبهم وملابسهم العسكرية وأودعهم السجون مكبلين بالقيود دون تحقيق أو محاكمات. هنا ثار يوسف صديق ثورة عارمة على المجلس ولم يستطع أحدهم أن يهدأه ووصفهم بالديكتاتورية ونهرهم على هذه الفعلة الشنعاء ولم يستطع المسير مع هؤلاء فى هذه الرحلة الدامية ليقدم أول استقالة من مجلس قيادة الثورة أول استقالة قارئة للمستقبل متحدية للظلم والاستبداد والديكتاتورية فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٣م محتوية على هذه الكلمات الخالدة الموجهة إلى محمد نجيب «لا أقبل أن أهدمك على أيديهم لما بينى وبينك من حب صادق ولا أقبل

أن أهدم مصر على يديك لما بيني وبينها من عهد قديم» وحاول أصدقاؤه أحمد فؤاد ومحمد نجيب وكمال الدين حسين إقناعه بالعدول عن استقالته لكنه أصرّ على موقفه ورفض أن يشارك في حكم مصر بهذه الطريقة ويتعرض الأستاذ محمد توفيق للاستقالة ويقر بأنه قدم ثلاث استقالات كالتالي:

الاستقالة الأولى

في يناير ١٩٥٣م عقب القبض على ضباط المدفعية ووضعهم في السجن وقد قدمها إلى اللواء محمد نجيب الذى كان وقتها رئيس مجلس قيادة الثورة وكانت عبارتها الأخيرة تقول «إنني لا أقبل أن أهدمك على أيديهم لما بيني وبينك من حب صادق ولا أقبل أن أهدم مصر على يديك لما بيني وبينها من عهد قديم» لذلك أرجو قبول استقالتي.

الاستقالة الثانية

أكد بها إصراره على استقالته الأولى وهو في منفاه بأسوان في أواخر فبراير ١٩٥٣م.

الاستقالة الثالثة

أرسلها في برقية مفتوحة إلى اللواء محمد نجيب عقب وصوله

وعودته إلى مصر سراً من منفاه ومعه زوجته وطفلاه وقال فى نصها «وصلت إلى بلدتى وأطلب تسوية حالتى وقبول استقالتى» وكان ذلك فى أغسطس سنة ١٩٥٣م وكانت هذه الاستقالة من الجيش كله في عمل غير مسبوق أن ترسل مثل هذه الاستقالة إلى رئيس الدولة في برقية مفتوحة أرسلها الأستاذ محمود توفيق من مكتب تلغراف مدينة الواسطي.

❑❑❑